

عبد الله سامسا في جزيرة الواقواق

قصة قصيرة بقلم مصطفى السناوي

١ - في البدء :

« وعن تاريخها فقد حكى جاما دي فاسكو في كتابه (رحلة العالم حولي) - ص ٥١٧ - ان هذه الجزيرة كانت متصلة باليابسة في قديم الزمان ، الى ان فصلها عنها الفاتح الأشهر « الاسكندر ذو القرن الواحد » بحد سيفه ، في القرن الاول لاختفاء قارة اطلنطا تحت رمال القطب المتجمد الغربي ، ولا زالت سلالة هذا الفاتح تتناوب على حكم هذه الجزيرة الى الآن ، بالجزرة مرة وبالعصا مرات .

في البدء كان الشعب . وكان الشعب حرا في الموت من الجوع والصمت او من رطوبة السجون والمعتقلات السرية . وعندما استيقظ عبد الله سامسا من نومه ذات صباح ، بعد حلم مزعج ، لم يجد نفسه متحولا الى حشرة رائعة ولكنه وجد بداخل رأسه فكرة مستوردة .

٢ - عبد الله سامسا :

« اما سياسة الجزيرة فهي موضوع ممنوع الخوض فيه ، ولذلك لن نتحدث عنه في هذا المجال » .

قال قل .

٤ - عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا اقول ؟

٣ - جزيرة الواقواق (مقطع من الموسوعة الفرعونية الكبرى) :

« تقع حدود جزيرة الواقواق داخلها ، لا خارجها مثلما يتوهم البعض ، ولهذا انما يعزى فشل الجغرافيين في تحديد موقعها على الخريطة ، وتمادى بعضهم الى حد انكار وجودها . والحال انها موجودة ، ولا ادل على ذلك من وجود اسمها ذي المقطعين عظيمي الدلالة : (واق - واق) .

٥ - بعض ما رواه الشريف الشيخ احمد النيسابوري عن مشاهداته في جزيرة الواقواق (١) :

« ... وقد كنت في احد ايام شعبان لسنة خمس وتسعين وصفر واربعمائة بخان المسافرين لمدينة الواقواق لما ساد هرج ومرج عظيمان في الخارج ، فخرجت استطلع جلية الامر من ناحية باب المدخل فاذا بعربيات بلاد العجم السوداء تجري في الزقاق وامامها يركض جمع غفير من مردة وفتيات الجزيرة وهم يصرخون بكلام لم أفهمه حتى تكاد لهاتهم تنشق ، وبفتة لم يدر الناظر الا وقد انفتحت عربيات بلاد العجم عن أشخاص هم بالفزعاءات أشبه ، يقبضون على خراطيم الاقيال ، ثم الا وهم ينزلون بها على كل من صادفوه امامهم ظهورا وجنوبا وأذرا غير مبالين بالاضلع المنحطمة والدماء الفائرة . وكترني مسافر وقف بجانبني يشاهد ان انظر ، فنظرت حيث أشار فرايت احدي فزعاءات بلاد العجم تلك قادمة نحونا وهي تهز خرطومها في هز من بيتني الفتنة والفتك ،

« وتحدد الجزيرة بسلسلتين جبليتين عرفت اولاهما بعمارات جالوت العظمى ، وتعرف الثانية ب (فيلات) طاغوت الهادئة ، وهما سلسلتان تكونتا في العصر الثالث . ورغم ضآلة المساحة التي تحتلناها فقد لقينا اهمية بالغة من علماء الجيولوجيا ، اكثر من تلك التي لقيتها سهول الجزيرة الواسعة التي اصطلح بعض الانثروبولوجيين على تسميتها ب (الاودية البيدونقيلية) .

« اما الانهار ، فهناك سبعة أساسية ، عدا الفرعية ، تنبع كلها من القلاع والحصون التي تملأ الاودية المذكورة ، وتصب مياهها الحمراء - السوداء في اغلب الاحيان - في الفراغ المحيط بقرص الارض .

فاستغثت بالله طالبا منه السلامة ورفعت أذيالي ثم عدت الى حجرتي .

٦ - عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟ قال قل .

٧ - مقتطف من حديث أذاعته جزيرة الواواق :

« ... وخلصنا أيها الاخوة في الروح لا في المادة . لنترك لأمم المادة أن تنزل فوق القمر والمريخ والشمس ، وأن تعرّي بناتها وأبناءها وتدفعهم لمزاولة الفحشاء في الشوارع ، لنترك لها أن تخترع نظريات الاحاد والفوضى القائلة بأن الاقتصاد أساس المجتمع وان المجتمع منقسم الى طبقات متناحرة وان مصدر متاعب الناس امتلاكهم للارض ، والقائلة - بلا خجل - ان أصل الانسان الطاهر الزكي هذا يعود الى قرد (وهذا ينطبق على أصحابها أولا وأخيرا ، ولا يقول به الا من كان جده قردا بالفعل ، اما نحن فجدنا هو آدم عليه السلام ، ومن لم يقبل بذلك فليضرب رأسه مع الحائط) ... لنترك لهم كل ذلك أيها الاخوة ، ولنعد الى العالم الحقيقي ، الى عالم الروح الذي لا تنافر فيه ولا اضطراب ولا ازعاج ولا انزعاج ، بل سعادة لانهاية مطلقة ، وطمأنينة لا حد لها ، وسيادة حقيقية خالدة على عالمي الاولى والاخرة .. » .

٨ - عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟ قال قل . قال ليس لي ما أقوله .

٩ - بعض ما رواه الشريف الشيخ احمد النيسابوري . . . (ب) :

« ... ولما اسنعلمت عشية يومه صاحب الخان أعلمني ان الجزيرة تكابد قرابة جيلين من المجاعات والويلات المدمرة الكاسحة ، وان علماء المدينة وفقهاءها وأولي الشأن فيها تذاكروا في الامر وتشاوروا فيه مددا ثم أفتوا بأن سبب قحط البلاد والفوضى الضاربة فيها الاطناب هو انتشار أفكار غريبة أجنبية مستوردة واحتلالها لعقول العباد بالقبح والفساد وبسببه انما قرّ عزم ولاة مصر وتصميمهم على جهاد منكر الافكار هذه وقطع دابرها . وأفادني صاحب الخان ان ما جرى صبيحته لم يكن سوى حرب من الحروب العديدة التي تخوضها الجزيرة لمحسو دابر الافكار تلك . فاستغربت وقلت له : ان خلقا كثيرا قتل وأنا انظر . فقال لي : ان ما رأيته ليس خلقا وانما هي أفكار مستوردة يخيل للرأي انها تمشي وتكلم وتقوم وتقعده مثل سائر الخلق بينما هي خيالات لا أعيان لها (...) وانتهيت السى ان قول

القائل منهم فكرة مستوردة هو عندهم بمثابة القائل عندنا جنّ أو عفريت أو ما شابههما ... » .

١٠ - عبد الله سامسا :

قال قل . قال ماذا أقول ؟ قال قل . قال ليس لي ما أقوله . قال قل . وانبعثت قبضة رعناء انحدرت عن جد البشر الاول في سرعة الضوء لتستقر تحت منتصف الاضلع السفلى . ومن فمه المفتوح انبثق عواء ذئب وخط دم وطارت جثته الى الخلف وصاح : قتلتموني . فقال : الآن كلا ، ولكن ان رفضت البوح سنفعل .

- ملاحق :

الملحق الاول : مقطع من تقرير مقدم الحي :

« ... أقسم بالله العظيم ثلاثا انه أصبح كافرا ، فبأذنيّ هاتين - قطعهما الله ان كنت كاذبا - سمعت السيد (...) امام المسجد يلومه على تركه للصلاة دونما سبب ويناشده العودة الى حظيرة السلف الصالح ، وبعينيّ هاتين - فقأهما الله ان انا جانبت جادة الصواب - شاهدته - اي والله - يرفع كتفيه في استهانة ونزق وينصرف تاركا العالم الفقيه الورع فاغر الفم جاحظ العين (...) وقد أخبرني الحاج (...) صاحب دكان المواد الغذائية انه تكلم معه بتطاول عن ارتفاع ائمة خيرات الله وقال له ان سببه هو وجود فقراء كثيرين وأغنياء قلة يأكلون أموال اولئك . فلما ذكره الحاج (...) بأن الله فضل بعضا على بعض في الرزق أجابه - أعوذ بالله من جواب - ان المقصود بالرزق العقل وليس المال والنقد (...) وقد حاولت جهد المستطاع ان اتصل بهذا الزنديق وأعرف ما وراء رأسه ، الا انه قطع كلامه معي وأصبح يشيح عني بوجهه كلما رأيته قادمنا من بعيد او القيت له بتحية » .

الملحق الثاني : « محضر » :

« قمنا صبيحة يوم (...) على الساعة (...) بكبس منزل المدعو عبد الله سامسا ، وقد وجدناه وحده ، غارقا في النوم . فألقينا عليه القبض حسب الامر (...) الصادر بتاريخ (...) .

وبعد تفتيش لمنزله استفرق يوما كاملا ، ضبطنا بحوزته ما يلي :

- كتابا عنوانه : جمهورية افلاطون الديمقراطية .
- صورة ملونة لعدد ضخم من الناس الباسمين .
- تابوتا خشبيا اسود اللون .

المغرب

عبد الكريم الطهال

يا فرسا يتوثب فوق الزمن الواقف
يجتاز القصر . ولا يسقط في الظلّ الوارف
هل تسمح أن تحملني .. في حضنك
ريحا جنت . في فصل شتاء
نهرًا مهموما في بحر ، يحلم أن تتوحد فيه الاسماء
اني ... منذ سنين ، أرسم في اوراقي
صقرا يمتلك الاجواء
أغرس في بستانني
شجرا مجهول الورد ، ومجهول الافياء
اكتب في قلبي
اشعار الغابات القصوى
وتلاحم ارواح خلف الافاق
اني ... منذ سنين ، ابكي في الغربة
ماذا يجدي الصقر المرسوم ؟
والشجر المفهوم
والشعر عن الزمن المفقود ؟
* * *
يا فرسا .. يا من لا أدرك وجهه
اني املك سيف الفرسان
وجنان الشهداء
وكليم الشعراء
احملني ... عبر الاصل

وقد قمنا بمصادرة هذه الادلة ، وحملناها مع
الموقوف الى (...) .
وحرر هذا المحضر بحضور (...) .

الملحق الثالث : « تحقيق » :

« لماذا لم تعد تردّ التحية على مقدم الحي :
.....
- مسألة تخصك وحدك ، اليس كذلك ؟
.....
- ولم قطعت صلاتك ؟
.....
- مسألة خاصة أيضا ، اليس كذلك ؟
.....
- والاحتفاظ بالكتب والصور الممنوعة والتواييت
في البيت ؟ مسألة خاصة أيضا ؟ والفقراء والاغنياء
والعقل ؟ كلها مسائل خاصة طبعاً ؟ ..
.....
- حتى نحن نعتقلك لانها مسألة خاصة بنا وحدنا .
ها ها ها ... ماذا ترى ؟ » .

الملحق الرابع : مقطع من تقرير سري :

« ورغم رفضه التكلم عن زعمائه وشركائه في الفتنة
مع مختلف الاساليب التي استعملناها معه ، يبقى لدينا
دليل قوي على ما اشيع من حمله للافكار المستوردة ،
وهو ، بالاضافة الى الكتاب والصور والتابوت الاسود
الذي حرّمنا صنع امثاله منذ غادر الروم بلادنا مغادرة
نهائية ، وحصلنا على حريتنا المطلقة ... » .

الملحق الاخير : شهادة شخص رفض أن يذكر اسمه :

« اتوا به ليلا . لم ار وجهه ، لكن جسمه كان
منتفخا . وضعوه في مخزن الجثث الثلجي وأمروني
بحراسته . حرسته يومين كاملين قبل ان يعودوا ثانية .
سالوني : هل تحرك ؟ دهشت وقلت : لا . بدوا فزعين
رغم تظاهرههم بغير ذلك . وقعوا على الاوراق بسرعة ،
وقال لهم الطبيب المشرف : الا تتركونه لطلبة التشريح ؟
فقالوا : لا ! في انزعاج ظاهر ، وأمروا الممرض المساعد
باخراجه ، وبسرعة ذهبوا به . لم المح منه سوى قدميه .
كانت اظافرهما مقتلعة ، وباطناهما ممزقين . خيل لي
انني لمحت من خلال المزق الزرقاء وسواد الدم المتجمد
صفرة السلاميات . خيل لي فقط ، لانه بمجرد القائي
النظرة ارتداني غثيان مريع ودوار لم أبرأ منه بعد ... » .

الدار البيضاء

مصطفى السناوي